المحاضرة الثانية: الملاحظة كأداة لجمع البيانات

مقدمة:

الملاحظة هي واحدة من أبرز الأدوات المستخدمة في جمع المعلومات في مختلف المجالات، سواء في البحث العلمي، أو في العمل الميداني، أو في الحياة اليومية. تعتمد الملاحظة على استخدام الحواس لفهم الظواهر وتسجيل المعلومات بدقة. تُعتبر أداة فعالة لفهم السلوكيات والتفاعلات والظروف المحيطة بموضوع الدراسة.

01 – تعريف الملاحظة:

هي المشاهدة او المراقبة الهادفة والدقيقة لظاهرة او مجموعة ظواهر بغية جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عنها لغرض الخروج بنتائج موضوعية دون تدخل او تغيير

02 – أساليب الملاحظة:

يمكن تصنيف الملاحظة تبعا لوظيفتها الى ملاحظة بسيطة وملاحظة مركزة او منظمة، وتبعا لتوجيهها الى ملاحظة ذاتية وملاحظة خارجية، وهذا النوع الاخير يمكن تصنيفه الى ملاحظة بالمشاركة وملاحظة بدون مشاركة، وسوف نستعرض لكل من هذه الانواع تفصيل بسيط.

02 – 01 – الملاحظة البسيطة:

يهدف نوع من الملاحظة في التعريف المبدئي على الظواهر وملاحظتها كما تحدث تلقائيا في ظروفها الطبيعية، ودون استخدام اي ادوات او اخضاعها للضبط العلمي.

ويستخدم هذا النوع من الملاحظات في الدراسات الاستطلاعية لجمع البيانات الاولية عن اوجه نشاط جماعية معينة او دراسة الانشطة التي يمارسها طلاب احدى الكليات او ملاحظة النمو اللغوي للطفل في مراحل عمرية مختلفة وتتم الملاحظة البسيطة بطريقتين:

02 – 02 – الملاحظة بدون مشاركة:

وفيها يقوم الباحث بملاحظة المفحوصين من الخارج دون ان يتفاعل مع موضوع الملاحظة او يؤثر فيه، اي انها تتم دون مشاركه الباحث بشكل غير مباشر في الموقف الذي

يلاحظه، وهذا الاسلوب يهيئ الفرصة لإظهار وملاحظة السلوك الفعلي للمفحوصين في صورته الطبيعية كما يحدث في مواقف الحياة الطبيعية.

02 – 03 – الملاحظة بالمشاركة:

وفيها يصبح الباحث جزءا مشاركا في الموقف الملاحظ ويصبح عضوا في الجماعة التي يلاحظها، بحيث يشترك في اوجه نشاط المفحوصين ويتجاوب معهم ويتعرض لجميع المؤثرات التي تخضع لها، وتستخدم هذه الطريقة عندما تختلف رؤية الباحث للموقف الملاحظ من الداخل عن رؤيته من الخارج، ومن الممكن ان يفصح الباحث عن شخصيته وعن الهدف من القيام بالملاحظة، وهنا تكون الملاحظة ظاهرة وبمرور الوقت ينشا بينه وبين المفحوصين نوع من الالفة، ويصبح وجوده امرا طبيعيا بينهم. ومن الممكن ان لا يفصح عن شخصيته، وهنا تصبح الملاحظة ضمنية (غير ظاهرة)، وهنا يكون سلوك المفحوصين تلقائيا والمعلومات التي يحصل عليها صادقة.

02 – 04 – الملاحظة المنظمة:

تستخدم الملاحظة المنظمة عادة في الدراسات التجريبية والوصفية، يجري عن طريقها جمع البيانات اللازمة للتحقق من صحة الفروض، ولهذا تتميز الملاحظة المنظمة عن الملاحظة البسيطة بالدقة العلمية، حيث انها تخضع للضبط العلمي، ويستعان من خلالها بأجهزة وادوات ووسائل علمية ودقيقة الامر الذي يساعد الباحث في تسجيل جميع الظواهر المطلوبة للبحث بطريقة تسمح بتصنيفها وتبويبها حتى يسهل معالجتها، وتحليل نتائجها احصائيا.

وتتم الملاحظة المنظمة بإحدى الطريقتين: اما في مواقف طبيعية حيث تتم ملاحظة الظاهرة المدروسة على طبيعتها، او يتم ملاحظة الظاهرة معمليا، ويجب على الباحث هنا مراعاة انه كل ما كان الموقف الذي يتم فيه الملاحظة طبيعيا كلما كانت النتائج ادق وذلك لان كثيرا من الظواهر تتغير اذ ما تم ملاحظتها معمليا.

02 – 05 – الملاحظة الذاتية او التأمل الباطني:

هذا النوع من الملاحظة يقوم الفرد بملاحظة نفسه ووصف كل ما هو في شعوره من افكار وخيالات وتصورات وانفعالات او كل ما لديه من حاجات، ويستخدم هذا النوع من الملاحظة في دراسة بعض الظواهر النفسية في المجال الرياضي، مثل ظاهرة التعب او الخوف او التوقع، او

ظاهرة التشاؤم والتفاؤل او الفرح والحزن، وغيرها من الظواهر النفسية المرتبطة بالممارسة الرياضية، كما يمكن ايضا استخدام هذه النتائج في بعض الدراسات لتكون نتائجها تدعيما لنتائج البحوث التي اعتمدت على ادوات اخرى لدراسة نفس الظاهرة.

وبالرغم اهمية هذا النوع من الملاحظة في دراسة بعض الظواهر النفسية في المجال الرياضي، الا انه لا يمكن الاعتماد عليه منفردا في دراسة بعض الظواهر، ولا يمكن الاعتماد عليه نهائيا في دراسة ظواهر اخرى وذلك لمجموعة من الاسباب التالية:

- يطغى عليه الجانب الذاتي على الموضوع.
- لا يمكن التأكد من نتائجه لعدم امكانية تكرارها.
- لا يستطيع كل فرد ان يلاحظ نفسه لاختلاف القدرة بين الافراد على الوصف والتعبير عن حالتهم.
- من الصعب على معظم الافراد ملاحظة انفسهم في حالات التعب او الانفعال او التفاعل مع الاخرين.

02 – 06 – الملاحظة غير المباشرة:

وهي عكس الملاحظة الذاتية اذ تنطوي على ملاحظة سلوك الغير سواء كان فردا او جماعة، وبالرغم من اهمية هذا النوع من الملاحظة في البحث العلمي هو ما يتمتع به من مميزات، الا انه قد يعجز عن دراسة بعض انواع السلوك خاصة ما يرتبط منه ببعض النواحي الاجتماعية او الشخصية للفرد الرياضي، كعلاقته مع افراد اسرته او اصدقائه وغيره من السلوك الذي يكون خارج نطاق الملعب او المدرسة او النادي.

03 – الوسائل المستخدمة في الملاحظة الميدانية:

- البحث وتحديد الاهداف التي يراد من الباحث ان يحققها لأنه في ضوء طبيعة مشكلة البحث ونوع الاهداف المراد للوصول اليها يستطيع الباحث تحديد طبيعة ملاحظته وتحديد نوعها وتحديد اهدافها وتحديد جوانبها.

– تحديد وحدة الملاحظة وزمانها ومكانها، وتحديد الجوانب التي يراد ملاحظتها والبيانات التي يرى جمعها، فعل الباحث ان يحدد وحدة ملاحظته هل هي فرد او جماعة او قائد جماعة او بعض الافراد المميزين فيها، كما عليه ان يحدد حجم العينة التي سيجري عليها ملاحظته ان كانت ملاحظته وعدد فتراتها والمدة التي تفصل بين كل فرد واخرى.

– تحديد ما إذا كانت الملاحظة التي يراد القيام بها ستكون من نوع الملاحظة البسيطة او من نوع الملاحظة المضبوطة المنظمة.

– في حال اختيار الملاحظة غير المشاركة على الباحث ان يحاول قدر الامكان ان يظهر في المواقف وان يلجا الى الاستقرار في المجتمع موضوع الدراسة، ملاحظته دون ان يعرف الافراد الملاحظين انهم تحت الملاحظة.

–في حالة اللجوء الى الملاحظة بالمشاركة فان على الباحث ان يحاول بكل الوسائل ان يكسب من يلاحظهم وان يكون لبقا في تقديم نفسه اليهم، وان يبني علاقات طيبة معهم وان يتجنب اي خطا معهم وخاصة مع الشخصيات البارزة فيهم.

– حتى اذ ما بدا الباحث في ملاحظته فان اول شيء يجب ان يفكر فيه هو تسجيل ملاحظته، واول ما يتبادر الى ذهنه هو متى يسجل ملاحظته وكيف يسجلها، وقد يكون الاجراء المثالي بالنسبة للزمن المناسب لتسجيل الملاحظات وهو تسجيلها عن الاحداث وقت وقوعها ذلك حتى تقل الاحتمالات التحيز في انتقاء ما يسجل وحتى يقل تأثير عامل التذكر.

– وعلى الملاحظ ان يكتب وصفه في عبارة محددة ودقيقة ويضع بياناته في اطار كمي كلما امكنه ذلك ليس تحليلها احصائيا فيما بعد.

04 – مميزات الملاحظة:

– تكشف عن السلوك الفعلي للأفراد في مواقف الحياة الطبيعية وهو ما يختلف عن السلوك الذي يصدره الفرد في ظروف غير طبيعية.

– تفيد في جمع البيانات في المواقف التي يبدي فيها الافراد نوعا من المقاومة للباحث ويرفضون التعاون معه والاجابة على الاسئلة الموجهة اليهم.

– تساعد في الحصول على معلومات ذات طبيعة خاصة لا يتيسر الحصول عليها باي وسيلة اخرى.

– لا تتطلب ادوات قياس معقدة كثيرا.

– في كثير من الظواهر والحوادث قد تكون الملاحظة من أكثر وسائل جمع المعلومات فائدة للتعرف على الظاهرة او الحادثة.

– عدم الاعتماد على ما يدليه المبحوث بل اخذ تصرفاتهم على وضعيتها الطبيعية، شريطة ان لا يكون قد اصطنعوا بعض التصرفات عند ادراكهم ان الباحث يقوم بملاحظتهم.

– هناك بعض النواحي التي لا يستطيع فيها استخدام اسلوب المقابلة او الاستبانة لجمع المعلومات مثل دراسة ظواهر طبيعية او بعض الحيوانات، وبالتالي يعتبر اسلوب الملاحظة هو الاكثر ملائمة.

– تسجيل السلوك او التعرف على الحادثة او الظاهرة وقت حدوثها اما اسلوب المقابلة او الاستبانة فيعتمدان على معلومات ماضية تاريخية او مستقبلية او امور يقيمها المبحوث.

–تسمح بالتعرف على بعض الظواهر او الحوادث التي قد لا يفكر الباحث او المبحوث بأهميتها اذ ما تم استخدام المقابلة او الاستبانة .

05 – عيوب الملاحظة:

–تدخل النواحي الذاتية كثيرا : فقد يلاحظ الباحث الظواهر التي تتفق مع اتجاهاته واهدافه وتتصل باهتماماته فقط.

– صعوبة التنبؤ بحدوث السلوك المطلوب حتى يمكن ملاحظته.

– قد يتعمد الافراد موضع الملاحظة اظهار السلوك غير الحقيقي اذ علموا بانهم في موقف ملاحظة.

– لا تفيد الملاحظة في دراسة الحالات الماضية او الخلافات الاسرية.

– حواس على رؤية الاشياء او الظواهر كما حدثت بالفعل في بعض المواقف.

06 – صعوبات الملاحظة:

الملاحظة ليست عملا بسيطا كما قد يتصوره البعض، وانما هي في حالة الدراسات العميقة لخصائصها كعملية اولية تبدو شديدة التعقيد، فلا توجد ملاحظة تخلو من الخبرة التفسيرية بمعنى اينما وجدت الملاحظة وحيث ما استخدمت كأداة لجمع البيانات فإنها تكون مختلطة بالتفسير، ذلك لان ملاحظتنا عبارة عن مدركات اي تفسيرات لما يقع تحت حواسنا من متغيرات، وبذلك فان استخدام الملاحظة في الدراسات والابحاث لا تزال محدودة او نسبية، ولعل من أبرز الصعوبات التي تواجه الباحثين عند استخدام الملاحظة ما يلي:

–صعوبة الحصول عن البيانات الموضوعية والدقيقة من اي ظاهرة دون المساس بوحدتها وتعقدها، فلكي يسهل ملاحظة الظاهرة ورصدها بأساليب موضوعية يتم تحليلها الى وحدات وذرات مما قد يؤدي الى ملاحظة قشور الظاهرة او التوصل الى معلومات ذات قيمة محدودة منها، ناحية ثانية فان اعتماد الباحث على اجتهاده الشخصي في النظر الى ظاهرة ما دون تحليلها الى وحدات وذرات قد يعرضه للتحيز وعدم الموضوعية ومن اجل ذلك لابد للملاحظ من التخطيط المحكم لرصد الظاهرة بما يضمن الموضوعية من ناحية واتصال البيانات التي يجمعها بالظاهرة اتصالا وثيقا وعميقا من ناحية اخرى.

–تأثير وجود الشخص الملاحظ في الموقف الذي يقوم بملاحظته ونذكر على سبيل المثال ان المدرس والتلاميذ يتغير سلوكهم في الصف كموقف اعادة اذا دخل الصف شخص ما وبخاصة اذا كان غرضه من الدخول هو الملاحظة، ومن اجل ذلك تزود الصفوف في المدارس التجريبية بغرف ملحقة للملاحظة اذ يشاهد ما يجري في هذا الصرف دون ان يشاهده احد وبذلك يبطل تأثيره على الموقف في الصف.

– ان استخدام الملاحظة المباشرة في جمع المعلومات تستهلك وقتا كبيرا ويجد الملاحظ نفسه مضطرا نتيجة لذلك الى اخذ عدد محدد من الافراد او المواقف بما قد يؤثر على سلامة عينته وبالتالي على صدق وثبات المعلومات التي يتحصل عليها.

– قد تتطلب الدراسة او البحث اشراك اكثر من ملاحظ لملاحظة الظاهرة او لملاحظة اكثر من موقف واحد مما قد يؤدي او يعرض البحث او الدراسة الى خطا التحيز بسبب اختلاف الملاحظين

في الشخصية والاطار الفكري الذي يرجعون اليه وبخاصه اذا كانوا مطالبين في الملاحظة بالتقييم او التقدير.

07 – اعداد استمارة الملاحظة:

تجري الدراسات العلمية عادة وفق استمارة او بطاقة او اداة او نموذج للملاحظة يكون دليلا للباحث في ملاحظته وينبغي ان يتوافر في تصميم هذه الاستمارة او الاداة او النموذج شروط تضمن سلامتها كأداة للبحث

– ان يبنى هذا التصميم على نظرية تتعلق بطبيعة السلوك هو موضوع الملاحظة، ومن اجل هذا يطالب الباحث عادة قبل تصميم الاستمارة بان يستعرض الدراسات والابحاث المتعلقة بموضوع دراسته او موضوع ملاحظته، ويستخلص منها الاسس النظرية ويحدد الفروض التي يريد ان يحققها عن طريق الملاحظة وفي ضوء هذا كله يصوغ محتوى ملاحظته بحيث تتضمن العناصر المحددة التي يتم عن طريقها اختبار صحة فروضة عن طريق بصيرته.

– ان تكون العناصر المتضمنة في الاستمارة تعبر عن مقومات سلوكيه محددة تعين الباحث على وصف السلوك موضوع الملاحظة وتشخيص وتقويمه موضوعيا.

– التحديد الدقيق لأوجه السلوك التي يرمي الباحث الى ملاحظتها على ان يتأكد من انها تصب في جوهر السلوك العام الذي يلاحظ بدلا من ان تتناول الامور الهامشية والجوانب السطحية، كما ينبغي له ان يركز على تنظيمها بحيث لا تؤدي به اثناء الملاحظة الى التشتت والى جمع ما هب ودب من البيانات التي تشوش عليه عند عملية التحليل والتفسير لنتائج الملاحظة.

08 – تسجيل الملاحظة:

يتم تسجيل الملاحظة بأساليب مختلفة تبعا لتصميم الاستمارة وما وراءها من نظرية واهداف، ولعل أكثر الاساليب شيوعا هو ذلك الذي يقوم عن طريق استخدام استمارة تحديد تفاصيل السلوك ولا تترك للملاحظ الا وضع علامة من العلامات او درجة من الدرجات امام كل سلوك يزيد بها او ينقص او عدم وجوده اطلاقا وهذا ما يعرف باسم القوائم المرجعية او الجداول.

ان هذا النوع من التسجيل لا يحتاج الى جهد كبير في التسجيل من جانب الملاحظ وهو يتبع عادة في الدراسات التي تستهدف ملاحظة سلوك عدد من الافراد في وقت واحد، مثل ملاحظة عمليات التدريس او ملاحظة سلوك اعضاء هيئة التدريس في اجتماع ما.

وقد ينصب التسجيل على تكرار نشاط او سلوك خلال فترات من الزمن تركز الملاحظة عليها مثال ذلك سلوك الطفل ما في المدرسة ساعة واحدة كل يوم ويتم تسجيل افعاله في هذا الشأن وتكرار هذه الافعال يعرف هذا باسم اسلوب العينة الزمنية، استمارات الملاحظة بحيث يقوم الملاحظ بوضع اشارة او علامة للدلالة على حدوث نموذج معين من السلوك او جانب واحد من جوانبه ثم يقوم الملاحظ بعد ذلك بوصف الافعال الخاصة التي حذفت فعلا.

09 – ارشادات لعملية ملاحظة ذات كفاءة:

هناك العديد من الامور التي يتوجب على الباحث مراعاتها اثناء اجرائه للملاحظة كأداة ليتمكن من الحصول على البيانات اللازمة للبحث بأفضل صورها:

– ان يقوم الباحث مبدئيا بجمع معلومات اساسية مسبقة عن الظاهرة التي سوف يقوم بملاحظتها.

– ان يحدد اهداف الملاحظة والامور الاساسية التي سوف يقوم بملاحظتها وهذا سيساعده على التركيز في جمع البيانات عن الامور المراد دراستها وبخاصه في الدراسات الوصفية.

– ان يختار الوسيلة الملائمة لتسجيل الاحداث او المشاهدات التي سيلاحظها مع التدريب على الوسيلة المختارة.

– القيام بالملاحظة بشكل ناقد وبعناية لان الكثير من الامور قد تبدو بسيطة وغيرها هامة في تصرفات الافراد لكن يكون لها اهمية كبيرة واثر في مجريات الحادثة او الظاهرة.

قائمة المراجع:

1. المشهداني, س Dans .(2019) .*منهجية البحث العلمي* .(pp. 180-181)عمان: دار أسامة للنشر و التوزيع.
2. بوحوش, ع & .,الذنيبات, م .(2007) .مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث . الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
3. عيشور, ن .(2017) .*منهجية البحث العلمي في العلوم الإجتماعية* .قسنطينة :مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع.
4. قنديلجي, ع .(s.d.) .منهجية البحث العلمي .اليازوري للنشر و التوزيع.
5. يونس, ا. ر .(2008) .*مقدمة في منهج البحث العلمي* .عمان: دار دجلة.